٢ ــ أن تستخدم واحداً من النظم الأجنبية المعدلة . وقد انصبت التعديلات العربية على تصنيف ديوى العشرى .

٣ ــ أن تستخدم خطة تصنيف خاصة بها أعدتها داخلياً مثل دار الكتب بالقاهرة التى تستخدم الدستور ، ومكتبة الجامع الأزهر بالقاهرة التى تستخدم عدداً من رءوس الموضوعات لترتيب مجموعاتها ترتيباً موضوعياً فى فهرس مكتبة الجامع الأزهر ، ودار الكتب الظاهرية فى دمشق التى وضعت طريقة لترتيب فهرس مخطوطاتها .

وسوف نتكلم عن كل واحدة من هذه الطرق :

أولا ــ نظم التصنيف الخاصة :

(أ) دستور دار الكتب بالقاهرة :

تتبع المكتبة فى ترتيب رفوفها النظام المخزنى المغلق ، ولا ترتب الكتب على هذه الرفوف وفقاً لنظام تصنيف ما ، وإنما ترتب وفقاً لعدد من الفنون (الحروف) يشمل كل فن منها مجالا أو أكثر من مجالات المعرفة البشرية ، مثل : ب الدين ، ى العلوم الاجتماعية ، إلخ . وترتب الكتب فى مداخل كل واحد من الفنون على حسب أرقام الورود كما يسجلها قسم التسجيل بالدار .

وتضم المكتبة الفهارس الآتية :

١ ــ فهرس العنوان .

٢ ــ فهرس المؤلفين .

٣ ــ مايسمى بالفهرس المصنف أو الموضوعى ، وهو الذى يتبع الدستور . وترتب البطاقات فى هذا الفهرس وفقاً لرءوس الموضوعات العامة التى يقدمها

الدستور . وتحت كل رأس عام رءوس فرعية رتبت ألفبائياً ، ثم رتبت البطاقات تحت كل رأس فرعى ألفبائياً بالعنوان .

وقد أعدت الدستور – نظام التصنيف – لجنة بالدار فى عام ١٩٣٨ . ومن العسير أن نطلق على هذا الدستور تصنيفاً ، فهو لا يملك من خصائص التصنيف بالمعنى الحديث الذى نعرفه فى خطط التصنيف قليلا ولا كثيراً ، فالقوائم غير مفصلة ، وليس ثمة رمز أضيف إليها ، وليس هناك كشاف أيضاً للموضوعات . كل ما هنالك مجموعة من رءوس الموضوعات العامة يتبع كلا منها عدد من الرءوس الفرعية . وتشغل هذه الرءوس ١٨ صفحة طبعت على عمودين (استنسل) . ومن الصعب أن نتناول هذا الدستور على ضوء معايير التصنيف الحديثة ، ففى هذا ظلم له ، إذ هو نوع من التصنيف البدائى الذى كانت تستخدمه بعض المكتبات الكبيرة مثل مكتبة المتحف البريطانى ولا زالت ، وحجتها فى عدم تغييره أنها لا تستخدم الرفوف المفتوحة . ولكن هذه الحجة تعتمد فقط على أن رقم التصنيف يستخدم كرقم طلب مع أن الوظيفة الأساسية للتصنيف هى التحليل الموضوعى فى الفهرس المصنف لإرشاد الباحث الموضوعى إلى حاجته ؛ وهذا الفهرس المصنف ينبغى أن يقوم على تصنيف جيد يتلاءم مع أهمية المكتبة وتنوع مجموعاتها .

لهذا فإن هذا النوع من التصنيف لا يثبت للنقد على ضوء المعايير الحديثة . لذلك فلن ننقده هنا نقداً مفصلا ، وإنما سوف نكتفى بوصف موجز له ثم كلمة عامة .

يبدأ الدستور تقسيمه للمعرفة بعدد من الرءوس العامة التى من المفروض أنها تضم المعرفة جميعاً ، وهى :

الديانات .

العلوم الفلكية والرياضية .

التاريخ الطبيعى وعلم الأحياء .

العلوم الجغرافية .

العلوم التاريخية والآثار .

علوم اللغات .

آداب اللغـــات .

العلوم الاجتماعية .

العلوم الفلسفية .

الفنون الطبية والهندسية والزراعية والمعاشية .

الفنون الجميلة .

معارف الأسرار

معارف متنوعة .

وبمقارنة هذا الموجز مع الخلاصة الأولى لتصنيف ديوى اتضح أنها مشابهة لها تماماً مع تغيير فى بعض المواضع والترتيب ، وفيما يلى مقارنة لها (ويلاحظ أننا قد غيرنا فى ترتيب أقسام الدستور حتى تتضح المشابهة) .

ديـــوى	الدستور
٠٠٠ الأعمال العامة	معارف متنوعة
١٠٠ الفلسفة	العلوم الفلسفية
٢٠٠ الدين	الديانات
٣٠٠ العلوم الاجتماعية	العلوم الاجتماعية
٤٠٠ اللغـــات	علوم اللغات
٥٠٠ العلوم البحتة	العلوم الفلكية والرياضية التاريخ الطبيعى والأحياء
٦٠٠ التكنولوجيا	الفنون الطبية والهندسية والمعاشية
٧٠٠ الفنون الجميلة	القنون الجميلة
٨٠٠ الآداب	آداب اللغات
٩٠٠ التاريخ والجغرافيا والتراجم	العلوم الجغرافية العلوم التاريخية والآثار معارف الأسرار

وتوضح المقارنة :

١ ــ أن الأقسام الخمسة الأولى وردت بدون تغيير تقريباً .

٢ ــ قسم ٥٠٠ العلوم البحتة قسم فى الدستور قسمين :

العلوم الفلكية والرياضية .

التاريخ الطبيعى وعلم الأحياء .

يشمل الأول :

العلوم الرياضية	(٥١٠ فى ديوى)
الفلك	(٥٢٠ فى ديوى)
علوم الطبيعة	(٥٣٠ فى ديوى)
العلوم الكيميائية	(٥٤٠ فى ديوى)

والثانى يشمل :

علم الحياة	(٥٧٠ فى ديوى)
علم الجيولوجيا	(٥٥٠ فى ديوى)
علم النبات	(٥٨٠ فى ديوى)
علم الحيوان	(٥٩٠ فى ديوى)

أى أن هذه هى نفس شعب ديوى بنفس الترتيب أحياناً وبتعديل طفيف أحياناً أخرى مع حذف ٥٦٠ الحفريات .

٣ ــ العلوم الجغرافية	(يشمل الرحلات)
العلوم التاريخية والآثار	(يشمل التراجم)

وهما محتوى قسم ٩٠٠ فى ديوى فيما عدا بعض الاختلافات فى التفاصيل ، منها جمع كل أنواع الجغرافيا : الطبيعية والبشرية ، إلخ ، فى قسم واحد . وفيما عدا ذلك فهناك خلط فى التقسيم مرة بالعصور ومرة بالأماكن بما لا يتفق مع معايير التصنيف .

٤ ــ الفنون الطبية والهندسية والمعاشية تشبه قسم ٦٠٠ فى ديوى .

٥ ــ الفنون هى ٧٠٠ فى ديوى .

٦ ــ الآداب هى ٨٠٠ فى ديوى .

٧ ــ هناك قسم جديد هو معارف الأسرار ، وهو يشبه إلى حد كبير قسم التجربة الروحية والتصوف فى تصنيف الكولون ، وهو القسم الوحيد الذى أضيف . وربما فرضته الظروف المحلية .

وثمة ملاحظتان أخيرتان على هذا النظام :

١ ــ الخلط فى التقسيم يشمله جميعاً ، فليس ثمة إدراك لخصائص التقسيم وقوانينه ، لذلك حفل بالتقسيم المتداخل .

٢ ــ يبدأ فى كل رأس أو رأس فرعى ، إلخ ، بالكتب العامة وينتهى بالموضوعات الأخرى :

(ب) المكتبة الأزهرية :

أرادت هذه المكتبة التى أنشئت سنة ١٨٩٧ أن تعرف بمجموعاتها فأعدت فهرساً بها أسمته « فهرس المكتبة الأزهرية » وهو يقع فى ستة مجلدات كبيرة ، صدر أولها فى سنة ١٩٤٣ وآخرها سنة ١٩٥٠ :

ويقتصر الفهرس على مجرد ترتيب الكتب والمخطوطات على عدد من رءوس الموضوعات العامة دون تفصيل ، فهى فى الحقيقة علوم كبيرة ، مثل علوم القرآن ، القراءات ، التفسير ، إلخ .

وقد رتبت الكتب تحت كل علم ترتيباً ألفبائياً بالعنون . ومن الواضح أن

هذا ليس تصنيفاً بل هو مجرد تجزىء موضوعى بدائى لاينتظمه أى نوع من « النظام » .

وقد أردت من هذين المثالين إبراز حقيقة هامة ، وهى أن نظم التصنيف أو الترتيب التى أعدتها بعض المكتبات الكبيرة لا تصلح بوضعها هذا أساساً لنظام عربى للتصنيف ، وإذا كان هذا هو شأن دار الكتب وهى أكبر المكتبات فى المنطقة ، ومكتبة الأزهر وهى من أكبرها ، فإن ما يصدق عليهما يصدق على المكتبات الأصغر .

ولهذا فمن العسير أن نجد فيما فعلته تلك المكتبات أى عون فى إعداد نظام عربى للتصنيف .

ثانياً ـ التصنيف العشرى لديوى :

التصنيف العشرى هو أكثر خطط التصنيف العامة انتشاراً وشهرة فى العالم وفى المنطقة العربية ، كذلك انصبت الترجمات العربية المعدلة على هذا التصنيف . ولذلك فإن الحديث عن ديوى وتعديلاته له أهمية خاصة فى هذا البحث . وسوف نقتصر بقدر الإمكان على الجوانب النقدية ، أما الجوانب الوصفية فمكانها أى فصل عن التصنيف العشرى فى أى كتاب للتصنيف .

المكان الثابت :

لكى نعرف جذور التصنيف العشرى وإسهامه فى تطور التصنيف ينبغى أن نعرف طبيعة الأنظمة التى كانت تعمل فى الوقت الذى ابتكر فيه . كانت المكتبات فى ذلك الوقت تتبع ما يعرف بالمكان الثابت فكانت المكتبة تقسم إلى عدد من رءوس الموضوعات يخصص لكل منها دولاب أو أكثر ، يرقم بحيث يبدأ الدولاب الذى يليه بالرقم التالى مباشرة . فإذا زادت الكتب